



محور الدراسات اللغة والدلالة



البديع في المثل السائر لأبن الاثير المحسنات اللفظية (مثالا)

Al-Badi' in Ibn al-Athir's proverb: verbal
embellishments (example)

Ad Rahim Khuraibat Attia
Ad Ahoud Hussein Jabr
University of Kufa - Kufa Studies Center

أ.د. رحيم خريبط عطية
أ.د. عهود حسين جبر
جامعة الكوفة - مركز دراسات الكوفة

تاريخ النشر: 2025/6/1 تاريخ القبول: 2025/4/30 تاريخ الإستلام: 2025/4/20
Received: 20 / 4 / 2025 Accepted: 30 / 4 / 2025 Published: 1 / 6 / 2025

الخاصة في الكتابة ليوجهها اتجاها علميا يركز على الاتجاه الصحيح في الكتابة وقد كان تركيزه ينصب في الفنون النثرية اكثر من الفنون الشعرية ، وقد قسم كتابه الى قسمين تناول في القسم الاول في الصناعة اللفظية، وتناول في القسم الثاني منها عن الألفاظ المركبة، إذ عرض في هذا القسم لأنواع البديع اللفظي، وفيها يقول : وأعلم أن

: الملخص
يعد كتاب ابن الاثير من الموسوعات الادبية والبلاغية وقد احتفظ بكثير من المعارف والعلوم التي تتصل بالأدب والبلاغة والنقد ، وتمحور دراستنا لهذا المنجز على الجانب البلاغي عند ابن الاثير عموما وعلى تناوله البديع بصورة خاصة . اعتمد ابن الاثير في كتابه المثل السائر على تجربته

تجنباً للإطالة وقد تناولت فيه حياة الكاتب وثقافته ومنهجه في كتابه الى جانب آرائه التي انتشرت في الكتاب وقد كان الوقوف سريعاً وقصيراً على هذه الآراء لكثرتها وطولها ودقة التفصيل فيها وهذا مما لا يسعه البحث ، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

الكلمات المفتاحية: البديع ، المحسنات اللفظية ، البلاغة ، السجع ، أبن الاثير ، التصريح

Abstract:

Ibn al-Athir's book is considered a literary and rhetorical encyclopedia, preserving much of the knowledge and sciences related to literature, rhetoric, and criticism. Our study of this achievement focuses on Ibn al-Athir's rhetorical aspect in general and his approach to al-Badi' in particular. In his book, al-Mathal al-Sa'ir, Ibn al-Athir relied on his own writing experience to guide it in a scientific direction, focusing on the correct approach to writing. He focused more on prose arts than poetry. He divided his book into two sections. The first section deals with verbal articulation, while the second section deals with compound words. In this section, he presents the types of verbal al-Badi'.

صناعة تأليف الألفاظ تنقسم إلى ثمانية أنواع هي : السجع ويختص بالكلام المنثور، التصريح ويختص بالكلام المنظوم، التجنيس ويشمل القسمين جميعاً، التصريح ولزوم ما لا يلزم، الموازنة وتحدث في الجزء الثاني عن الصناعة المعنوية.

ولقد لقي كتاب ابن الاثير قبولا من الاوساط الثقافية والادبية في عصره وفي العصور اللاحقة ، وقد لاقى في الوقت نفسه انتقادا كبيرا من بعض العلماء أمثال ابن أبي الحديد والصفدي في كتابيهما الفلك الدائر على المثل السائر لابن أبي الحديد و نصره الثائر على المثل السائر للصفدي وقد تضمن هذان الكتابان رداً وتفنيدا لبعض آراء ابن الاثير وردّها ، وكان من أسباب تأليف هذين الكتابين ما وجداه كاتبيهما من غرور صاحب المثل السائر وتطاوله على بعض علماء عصره والعلماء الذين سبقوه

وقد كان المثل السائر موضع بحث ونقد في القديم والحديث، وقد كان بحثي الموسوم (البديع في المثل السائر) من ضمن هذه الجهود النقدية في هذا المجال و كان التركيز على المحسنات اللفظية في البديع

writer's life, culture and approach in his book, in addition to his opinions that were scattered throughout the book. The review was short due to the abundance of scientific material, its length and the many details in it, and this is beyond the scope of the research. At the end of the research, I hope you will excuse me for anything I missed, and our final supplication is that all praise is due to God, Lord of the Worlds.

Keywords: rhetoric, verbal embellishments, rhetoric, rhyme, Ibn al-Athir, alliteration

المقدمة :

يعد كتاب ابن الاثير من الموسوعات الادبية والبلاغية وقد احتفظ بكثير من المعارف والعلوم التي تتصل بالأدب والبلاغة والنقد ، وتتمحور دراستنا لهذا المنجز على الجانب البلاغي عند ابن الاثير عموما وعلى تناوله البديع بصورة خاصة . اعتمد ابن الاثير في كتابه المثل السائر على تجربته الخاصة في الكتابة ليوهجها اتجاها علميا يركز على الاتجاه الصحيح في الكتابة وقد كان تركيزه ينصب في الفنون النثرية اكثر من الفنون الشعرية ، وقد قسم كتابه الى قسمين تناول

In it, he says: "Know that the art of composing words is divided into eight types: saj' (rhyme), which is specific to prose; tasree' (alliteration), which is specific to verse; tajnīs (alliteration), which includes both types; tarsi' (instrumental combinations) and lazūm ma la la yazm (repeated prose); and muwazāna (balance). The second section discusses the art of morality. Ibn al-Athir's book was well-received by the cultural and literary circles of his time and in later eras. At the same time, it was subjected to heavy criticism from some scholars, such as Ibn Abi al-Hadid and al-Safadi, in their two books, Al-Falak al-Daer ala al-Mathal al-Sa'ir by Ibn Abi al-Hadid and Nasrat al-Tha'ir ala al-Mathal al-Sa'ir by al-Safadi. These two books included a response and refutation of some of Ibn al-Athir's opinions and their rejection. One of the reasons for writing these two books was what their authors found of the arrogance of the author of al-Mathal al-Sa'ir and his condescension towards some of the scholars of his time and the scholars who preceded him. The proverb has been the subject of research and criticism in ancient and modern times. My research was entitled (The Creative in the Proverb) and the focus of the research was on verbal embellishments to avoid prolixity. I dealt with the

في القسم الاول في الصناعة اللفظية، وتناول في القسم الثاني منها عن الألفاظ المركبة، إذ عرض في هذا القسم لأنواع البديع اللفظي، وفيها يقول : وأعلم أن صناعة تأليف الألفاظ تنقسم إلى ثمانية أنواع هي : السجع ويختص بالكلام المنتثر، التصريح ويختص بالكلام المنظوم، التجنيس ويشمل القسمين جميعاً، الترصيع ولزوم ما لا يلزم، الموازنة وتحدث في الجزء الثاني عن الصناعة المعنوية.

ولقد لقي كتاب ابن الاثير قبولا من الاوساط الثقافية والادبية في عصره وفي العصور اللاحقة ، وقد لاقى في الوقت نفسه انتقادا كبيرا من بعض العلماء أمثال ابن أبي الحديد والصفدي في كتابيهما الفلك الدائر على المثل السائر لابن أبي الحديد و نصرة الثائر على المثل السائر للصفدي وقد تضمن هذان الكتابان ردا وتفنيدا لبعض آراء ابن الاثير وردّها ، وكان من أسباب تأليف هذين الكتابين لما وجداه كاتبيهما من غرور صاحب المثل السائر وتطاوله على بعض علماء عصره والعلماء الذين سبقوه .

وقد كان المثل السائر موضع بحث

ونقد في القديم والحديث سيأتي البحث على ذكرها ، وقد كان بحثي الموسوم (البديع في المثل السائر) من ضمن هذه الجهود النقدية في هذا المجال ويهدف إلى إلقاء الضوء على موضوع البديع في كتاب ابن الأثير وإبراز أهميته ودراسة الأسس النقدية التي قام عليها ابن الأثير في تناول هذا الموضوع ، وكان التركيز على المحسنات اللفظية تجنبا للإطالة وقد تناولت فيه حياة الكاتب وثقافته ومنهجه في كتابه الى جانب آرائه التي انتشرت في الكتاب وقد كان الوقوف سريعا وقصيرا على هذه الآراء لكثرتها وطولها ودقة التفصيل فيها وهذا مما لا يسعه البحث ، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

حياة ابن الاثير وعصره :

عاش ابن الاثير في بيئة علمية ، وقد تتلمذ على يد ابيه وكان عالما من علماء عصره وهو أثير الجزري ، وكان ابن الاثير من ضمن ثلاثة أخوة تميزوا بعلمهم وفضلهم ، وهم مجد الدين الذي كان مؤلفا ومشرعا وعز الدين وهو صاحب كتاب الكامل في التاريخ المشهور ،وقد

لقب بالجزري نسبة الى جزيرة عمر في الموصل التي ولد فيها^(١) وقد ذكره ابن خلكان فقال: " كان مولده بجزيرة ابن عمر، و نشأ بها، وانتقل مع والده إلى الموصل، وبها اشتغل، وحصل العلوم، وحفظ كتاب الله الكريم، وكثيرا من الأحاديث النبوية وطرفا صالحا من النحو واللغة وعلم البيان^(٢) توزعت حياة ابن الاثير بين السياسة والادب فقد تقلد مناصب عديدة في حياته، فقد شغل منصب الوزارة فقد استوزه صلاح الدين الايوبي سنة (٥٨٧هـ) ثم انتقل الى دمشق فتولاها لابنه الملك الافضل ثم غادر دمشق بعد مدة قصيرة الى حلب بعد ان ساءت علاقته بالملك الافضل ابن صلاح الدين وانتقل الى خدمة أخيه الملك الظاهر غازي صاحب حلب^(٣) وهذا الامر درج عليه من العصر العباسي اذ عادة ما يسند منصب الوزارة الى الكتاب لما يتمتعون به من ميزات شخصية وثقافية تؤهلهم للوزارة . ولأبن الأثير «كتاب: الوشي المرقوم في حل المنظوم»، و «كتاب: المعاني

المبتدعة"، وله «كتاب: الأنوار في مدح الفواكه والثمار»، وله غير ذلك، ونظمه قليل وكان مولده سنة ثمانين وخمسائة، وتوفي سنة: سبع وثلاثين وستمائة». ^(٤) أما عصر ابن الاثير وهو القرن السابع فقد كان له الاثر المباشر في حياته وثقافته ومما لاشك فيه ان الأديب يتأثر بالبيئة التي يعيش بها، وقد كان لبيئة ابن الأثير و ما وقع فيها من أحداث الاثر البعيد في حياته وثقافته، وقد شهد عصره حروبا واضطرابات كانت بين المسلمين والصليبيين، الى جانب النزاعات الداخلية التي حدثت بين الاطراف المتصارعة على السلطة . وقد عاش ابن الاثير في وسط أجواء مضطربة سياسيا واجتماعيا، وكانت حياته موزعة بين السياسة والادب فلم يتمكن من الاستمتاع بالاستقرار والهدوء الا في اواخر حياته واستطاع ان ينتج أعماله المتميزة .

ثقافة ابن الاثير :

تميز ابن الاثير بسعة ثقافته وتنوعها فقد كان ابن الأثير مُلمّاً بالقرآن الكريم والحديث الشريف، بالإضافة إلى دواوين الشعراء. كان

الكلام، وسيكون قوله في البلاغة كما قالت حذام^(٥) لقد انطلق ابن الأثير نحو عالم الأدب بشكل عام، وكتابة النصوص بشكل خاص، بعد أن زود نفسه بأدواته وثقف نفسه بأنواع المعرفة التي ذكرها، وكان يشعر بالحاجة إليها كلما تعمق فيها. وقد أدرك أن أهمية هذا الفن وتأثيره يضاهاي أهمية المناصب الرفيعة التي يشغلها الشخص في علاقته بالحكام وإدارة شؤون الدول.

«بتلك الثقافة والمعرفة التي اكتسبها، وبالعقول التي استكشفتها، دخل ابن الأثير عالم البحث البلاغي. كان كتابه تجميعاً للأفكار المستمدة من العلماء البارزين، حيث دمجها بأفكاره الخاصة، مما أظهر شخصيته بشكل واضح ومستقل بين تلك الشخصيات. ولم يكتفِ بأن يكون جامعاً أو ناقلًا، بل سعى لأن يكون مؤلفاً في مجال البلاغة.

ورائدًا من رواد علم البيان، بما أضاف وصحح، وعاب ونقد، ومن هنا كان المثل السائر لونه متميزاً من ألوان التأليف في البيان العربي، واستطاع على الرغم من تفتت وفترة الآثار والدراسات المتنوعة الموجودة

لديه معرفة واسعة باللغة، بما في ذلك الجوانب المختلفة من النحو والصرف، فضلاً عن إلمامه بالأخبار والأمثال التي قد تُعجز المتخصصين في تلك المجالات عن فهمها.

أما في ما يتعلق بمعرفته بالشعراء وحفظه للشعر، فيمكنك الحديث عن ذلك بلا حدود. فقد تجلى أثر هذه المعرفة والحفظ بوضوح في الأمثال السائرة وغيرها من أعمال ضياء الدين. يقول في إحدى الأمثال: «لقد اطلعت على أشعار الشعراء، سواء منها القديمة أو الحديثة، ولم أترك ديواناً لشاعر مبدع يُثبت شعره على المحك إلا وقد قمت بمراجعته بدقة. كما أؤكد أنني استعرضت كل ديوان ومجموعة شعرية.»

وقضيت فترة من حياتي في حفظه وسماعه، فوجدته كبحر لا يمكن الوصول إلى نهايته، وكيف يمكن حصر أقوال لم تُعرف أسماء قائلها؟ ثم أضيف: لقد جربت من الشعر كل ما هو جديد وقديم، ولم أعبر عما أقول فيه إلا بعد بحث عميق، فمن يحفظ شعر الشاعر ويكشف عن معانيه العميقة، ويوجه أفكاره برؤية واضحة، ستسهل عليه قيادة

في هذا الكتاب تجعله مصدرًا مهمًا في مجال البلاغة العربية، ولا يمكن لأي باحث في هذا المجال الاستغناء عنه.^(٦)

ولأبن الاثير مؤلفات كثيرة تدل على غزارة علمه وبراعته في التأليف حتى عدّ كتبه المثل السائر من الكتب التي يشار إليها في تاريخ النقد والبلاغة وقد ذكر محققا كتابه المثل السائر في مقدمتهما الى مجموعة من الكتب التي ألفها ابن الاثير فقالا: ولضياء الدين مؤلفات تعكس عمق فضله وسمو مكانته، ومن أبرزها كتابه «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر» الذي يتألف من مجلدين. في هذا الكتاب، جمع كل ما يتعلق بفن الكتابة، فلم يترك شيئًا إلا وقد أشار إليه. وعندما انتهى من تأليفه، كتب الناس عنه، مما أدى إلى وصول نسخة منه إلى بغداد. بالإضافة إلى ذلك، له كتاب بعنوان «الوشى المرقوم في حل المنظوم»، الذي يتميز بجودته العالية وفائدته الكبيرة.^(٧)

ويعد كتاب المثل السائر من أشهر كتب النقد والبلاغة في العصر الايوبي ، وقد كان موضع قبول في ذلك الوقت في الاوساط الادبية والنقدية

، وقد ضمنه ابن الاثير كثيرا من الآراء التي كان يحاول فيها ان يكون مبتدعا لهذه الآراء ، ورغم ذلك لم يستطع ابن الاثير ان يفلت من سطوة النقد الذي سبقه .

وقد كان معتمدا في آرائه على ذوقه الشخصي الذي لم يكن ليصل الى حد ابتداع مفاهيم جديدة ونظريات للنقد.

لقد نال كتاب «المثل السائر» شهرة واسعة، وقد أشار إليه ابن خلكان في مؤلفه «وفيات الأعيان»، مشيدًا بقيمته وعلمه الوفير.^(٨)

وفي الوقت الذي كان فيه الكتاب مرحبا به ومقبولا في الاوساط النقدية ، الا إنه لم يحظ بالقبول من جميع الأطراف ولاقى هجوما ونقدا لاذعا من بعض نقاد عصره ، ويبدو ان الذي أثار هذه الموجة من الانتقادات ما وجدوه من نزعة انتقاص لدى ابن الاثير لبعض النقاد والكتاب من معاصريه والتقليل من شأنهم .

منهج ابن الاثير في كتابه المثل السائر :

كتب ابن الاثير كتابه المثل السائر ، وقد كانت الكتابة النقدية والبلاغية قد قطعت شوطا بعيدا

البارزين الذين يذكرهم تاريخ الأدب والنقد. ^(١٠)

وبيتعد ابن الأثير في «المثل السائر» عن التعقيد المصطنع، وهو ما يتناقض مع أسلوبه في رسائله حيث اتبع أسلوب البديع الذي كان شائعاً في عصره. بل إنه يعتمد في مؤلفاته على الأسلوب «المرسل» الذي يفتقر تقريباً إلى الزخرفة والتصنع. لذا، نجد أن كتابته في «المثل السائر» تعبر عن طبيعته، فهي سهلة العبارة، واضحة في الأسلوب، ومنسجمة بشكل جيد، خالية من التعقيد. يظهر في أسلوب ابن الأثير روح المعلم، حيث يشرح الدروس ويعززها بالتوضيحات، مما يجعلها قريبة من الفهم وسهلة الاستيعاب، وبذلك ينقل الفكرة بشكل كامل دون غموض أو التواء. ^(١١)

ويمكن القول ان ابن الاثير كان آخر حلقة من سلسلة الكتاب الذين اعتمدوا على الذوق في تناول البلاغة والنقد ، وعده بدأت مرحلة أخرى تعتمد على التقنين والتعقيد حتى وصلت بعد زمن الى الجفاف والذبول والجمود. ^(١٢)

ضياء الدين بن الاثير وآراؤه النقدية :

من النضج والاكتمال ، وقد اختلفت مناهج العلماء واتجاهاتهم وتعدد آرائهم في الفنون البلاغية والبيانية بين محتكم الى الذوق وآخر يتجه الى تقنين البلاغة وتقعيدها ، « وقد عاش ابن الأثير في الوقت الذي وصل فيه الدرس البلاغي والنقدي إلى قمة منتهى.

وقد ذكرت المصادر بأن المدرسة البلاغية والنقدية قد قسمت الى قسمين المدرسة الادبية والمدرسة الكلامية ، واصحاب المدرسة الادبية يتميزون بأنهم يعتمدون على الذوق في نقدهم ، ولا يعتمدون الى القواعد الجافة في تحليل وتعليل المادة التي يتناولونها ، ويمكن القول إن ابن الاثير كان من أواخر العلماء الذين اعتمدوا على الذوق ، ويتضح من خلال عنوان كتابه : " أدب الكاتب والشاعر فيما يتأدبون به من أدوات لا تقان صنعته " ^(٩)

يعتبر «المثل السائر» من أبرز المصادر الأصيلة، حيث يحتوي على آرائٍ وأفكارٍ تتعلق بفن الأدب، وتتعلم في جذوره خلال عصر ابن الأثير وما قبله. وقد حفلت تلك الفترات بالعديد من الأسس التي اكتشفها العلماء والأدباء والنقاد

وقد زعم ابن الاثير انه كان متفردا بأرائه و لم يكن يتأثر بآراء الكتاب الذين سبقوه ، وفي الحقيقة ان ابن الاثير تأثر بمن سبقوه في كثير من الآراء وان تفرد واستقل بعضها ، وقد ”حاول في انتقاده، لا يأخذ بعين الاعتبار معايير البلاغيين دون مراعاة لذوق القارئ وصدق المشاعر، وكذلك انسجام أصوات الكلمات وجاذبيتها السمعية مع المعاني وتوافقها.“^(١٣)

. وقد انخرط ابن الأثير في مجال الأدب بشكل عام، وفي فن الكتابة بشكل خاص، بعد أن أعد نفسه بالأدوات اللازمة لذلك، وزودها بأنواع المعارف التي ذكرها. وقد شعر بضرورة تلك المعارف كلما تعمق فيها، وأدرك أن أهمية هذا الفن وتأثيره لا تقل عن أهمية المناصب الرفيعة التي يشغلها المرء بالقرب من الحكام، وفي إدارة شؤون الدولة.

كان ابن الاثير متأثرا بمن سبقه في البلاغة والنقد من العلماء ، وكان التيار الذوقي هو الذي سيرّ وجهة ابن الاثير ، فكان يعتمد في أغلب آرائه على ذوقه الشخصي من دون أن يولي اهتماما للفلسفة

والمناطق الذي كان ديدن علماء البلاغة والنقد في العصور المتأخرة ، » ونصل الى ابن الاثير الاديب الكاتب ، فنجد البلاغة عنده يلونها طابع الذوق الاديبي حيث نراه قد استفاد كثيرا من آراء من سبقوه في الدرس والبحث البلاغي ولعل من يقرأ كتب ابن الاثير يجد بونا شاسعا بينه وبين غيره ممن فلسفوا البلاغة ومنطقوها ، فلم يقسم البلاغة الى علومها الثلاثة المعروفة المقررة بل نظر الى الكلام فوجده عملة ذات وجهين لفظ ومعنى « (١٤)

في كثير من الأحيان نجد نقداً موضوعياً، ولكننا نلاحظ أيضاً أن ابن الأثير لا يقتصر في نقده الأدبي على المعرفة المستنيرة فحسب. بل يعلي من قيمة الذوق السليم، معتبراً إياه أسمى من الحكم القائم على القواعد الموضوعية والمعرفة المحدودة. ويحث على تنمية هذا الذوق من خلال القراءة المستمرة والتعمق في الاطلاع. لذا، يقول معبراً عن ثقته بنفسه وفخره بكتاباتاته: «اعلم أيها القارئ في كتابي أن أساس علم البيان يعتمد على حكم الذوق السليم، الذي يعتبر أكثر نفعاً من ذوق التعليم.» (١٥)

وعلله ”كذلك فإنه حين وجد أن موضوعات الشعر لدى الإسلاميين ثم لدى المحدثين من بعدهم أكثر اتساعاً من موضوعات الجاهليين، وقدر ان المعاني لديهم أوفر واغزر سقط الجاهليون نسبياً في نظره، واستقر رأيه على أن اعظم شعراء العربية على الإطلاق هم أبو تمام والمتنبي والبحثري، الأولان بسبب المعاني، والثالث بسبب اللفظ“ (١٧) وقد وجد في الشعراء المحدثين الذين تميزوا بالأبداع، انهم جمعوا بين غرابة المحدثين وفصاحة الشعراء القدماء ، وقد زينوا أشعارهم تتضمن كذلك الحكم والأمثال المعروفة، وبالأخص أشعار أبو تمام والمتنبي، حيث قال: ”وهم الذين لا ينقطع شعرهم، ولهم مناقبهم وخصالهم، الذين تجلت عبرهم محاسنهم ومآثرهم. وقد جمعت قصائدهم بين غرابة الأساليب الحديثة وفصاحة الشعراء القدماء، واحتوت على الأمثال الشائعة وحكمة الفلاسفة.“ (١٨) ابن الاثير كان يتبع نهجا نقديا قائماً على عدد المعاني المبتكرة في المقام الاول للشاعر والناثر وهو الذي يحدد تفوق الشاعر أو الناثر

لقد كانت نظرة ابن الاثير للشعراء نظرة موضوعية لا تعباً بانتماء الشاعر الى زمن محدد ولكن ابداع الشاعر هو الذي يحدد هذه النظرة ، وثمة أمر آخر يتصل بالموضوع نفسه وهو تفضيله الشعراء المحدثين على القدماء في معانيهم وذلك لاتساع مدارك المحدثين من خلال تنوع افقهم الثقافي وقد وضح ابن الأثير منهجه في تتبع أشعار العرب عندما قال: لم أكن من الأشخاص الذين يقتصرون على تقليد أو قبول ما يقدمه من ينظر إلى الشعر القديم بعين ضيقة؛ فالغرض من الشعر هو التعبير عن المعاني الرفيعة من خلال ألفاظ قوية ورقيقة. (١٦) وقد كان هذا الرأي في غاية الاهمية وهي المفاضلة بين القدماء والمحدثين ، وقد كان يفضل المحدثين على القدماء ولاسيما في المعاني الجديدة التي ابتدعها المحدثون الى جانب جمال الصياغة وجودتها ولم يكن ابن الاثير هو الذي تحدث بالفكرة اولا وإنما سبقه كثير من العلماء منهم ابن قتيبة وابن رشيق القيرواني وغيرهم ، ويمكن ان نقول ان ابن الاثير شايح هذا الرأي

لديه فلقد أحصى ابن الأثير عشرين معنى مبتدعاً لأبي تمام، ورآها أهل فن البيان عدداً كبيراً. ومع ذلك، اعتبر ابن الأثير نفسه أن معانيه المبتكرة تتجاوز ذلك في الكمية؛ حيث استخدم منهج الإحصاء هذا ليصبح معياراً نقدياً مهماً. وقد ربط بين هذا الأسلوب والمقارنة بين المعاني، سواء اتفقت أو اختلفت. صحيح أن المقارنة بين المعاني المتفككة تُعد سهلة، إلا أن المفاضلة بين المعاني المتباينة، رغم إنكار بعض النقاد لها، تبقى ممكنة، لكنها تتطلب جهداً أكبر ودقة أعلى.

ومن آرائه التي تشكل أهمية كبيرة وتعكس هذه الفكرة موقفاً متقدماً يتجاوز الرؤى الجزئية والأفكار التقليدية، حيث تصبح وحدة النص معياراً للحكم. ومن ضمن ذلك، اتفق النقاد القدماء على مفهوم يُعرف بتضمين الإسناد، والذي يعني أن يكون البيت الأول من القصيدة، أو الفصل من النثر، مرتبطاً بالثاني بحيث لا يُمكن فهم الأول بمفرده، بل يحتاج إلى الثاني لإكمال معناه. وقد اعتُبر هذا من العيوب، حتى أن هذا النوع سُمي بالتضمين المعيب. ومع ذلك، خالف ابن الأثير

هذا الرأي بناءً على ذوقه الفردي، حيث لم ير هذا النوع عيباً، معتبراً أنه لا يوجد فرق بين بيتين من الشعر أو فصلين من النثر إذا كان أحدهما مرتبطاً بالآخر وكان المعنى متوقفاً عليه. وهذا الأمر واضح في النثر، حيث تكون الفقرات متناسقة وترتبط ببعضها، وهو ما يُظهر أيضاً في القرآن الكريم. (١٩)

نحو قوله تعالى: "فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ، قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ، يَقُولُ أَتِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ، أَتَدَا مَتَنَا وَكُنَّا تَرَاباً وَعِظَآمَ أَنْنَا لَمَدِينُونَ" (٢٠)

(فهذه الفقر الثلاث مرتبط بعضها ببعض، ولا تفهم كل واحدة منها إلا بالتي تليها. ولو كان هذا الارتباط عيباً لما ورد في كلام الله عز وجل ، وفي نظرة ابن الأثير هذه دعوة للنظر إلى النص على أنه وحدة متماسكة) (٢١)

آراء النقاد بكتاب المثل السائر :

الكتب التي ألفها ابن الأثير تعطينا فكرة عن ابن الأثير وثقافته الواسعة لقد كانت بعض تعليقات ابن الأثير في كتابه المثل السائر في بادعائه التفرد ببعض الآراء ما يثير سخرية

فقال الطرقي : (وهذه القسمة مضطربة لا نها متداخلة) (٢٥) وبذا نجد ان المثل السائر كان موضعاً لكثير من الجدل والنقاش بين أنصاره وخصومه، وكان من أسباب هذه الخصومة اسلوب ابن الاثير وتقليله من قدر الكتاب ”فقام الخصوم ينكرون اللهجة، ويتنكرون للتبجح، وينددون بالتطاول والإزراء على الفضلاء من أرباب الصناعة ” (٢٦)

وقد الفت الكتب في مدح هذا الكتاب وفي ذمه وقد ذكر حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون وقد ذكر ذلك في (في) قوله إن عز الدين ابن أبي الحديد ألف كتاباً بعنوان (الفلك الدائر على المثل السائر). كما قام أبو القاسم محمود بن الحسين السنجاري، الذي توفي عام ٦٥٠هـ بكتابة كتاب يرد فيه، أطلق عليه اسم نشر المثل السائر وطى الفلك الدائر. بالإضافة إلى ذلك، ألف صلاح الدين خليل بن أبيك الصفيدي كتاباً بعنوان (نصرة الناثر على المثل السائر)، وصنّف عبد العزيز بن عيسى كتاباً آخر يحمل عنواناً مشابهاً.

الكتاب الآخرين عندما يتناولون هذا الكتاب أو ينقلون بعض ما جاء به من آرائه، وقد كان يدعي التفرد في بعض المسائل البلاغية والنقدية مما دعا الى الرد عليه ومن هؤلاء العالم الطوفي الذي قال في كتابه الاكسير في علم التفسير أما نهج ابن الأثير فيشبه أسلوب الأطفال في المدارس الذين ينسخون من لوحات المعلمين. من يريد بناء جدار، يقوم بانتزاع لبنة من جدار آخر ويضع بدلاً منها لبنة من عنده، وقد تكون بعض الأوضاع غير صحيحة، مما يجعله مقلداً في الفساد الذي وقع فيه. (٢٢)

وهذا التعليق كان رداً على ابن الاثير حين كان يوجه صناع القصائد الناشئين ان ينسجوا على منوال غيرهم من الشعراء ، ويرى ان يعتمد الشاعر على موهبته وقراءته للتراث . (٢٣) وقد علق الطرقي في موضع آخر من كتابه الاكسير على تعريف ابن الاثير للمقابلة ورأى انه كان مضطرباً في اسلوبه معلقاً على قول ابن الاثير في تعريفه للمقابلة : «مقابلة الشيء تكون إما مع النقيض أو مع شيء آخر أو مع شيء مماثل له. (٢٤)

قطع الدابر عن الفلك الدائر» (٢٧) لقد كان هدف الكتاب، كما أشار مؤلفه، هو استكشاف سر الفصاحة والبلاغة في كل من الكلام المنثور والمنظوم، وتقديم قواعد للأدباء المبتدئين. حيث تناول فيه موضوع الكتابة والشعر، إذ يقارن المؤلف بين القيم النسبية للشعر والنثر، مفضلاً النثر على الشعر. (٢٨)

لقد قام عز الدين بن أبي الحديد، مؤلف شرح نهج البلاغة والمتوفى في عام ٦٥٥ للهجرة، بتأليف كتاب بعنوان «الفلك الدائر» أو «الفلك الدائر على المثل السائر». في هذا الكتاب، ينتقد ضياء الدين بن الأثير بسبب غروره وهجومه على من سبقوه، ويقوم بتصحيح بعض آرائه ويناقش اعتراضاته على الزمخشري والغزالي وأبي علي الفارسي وابن سينا والفارابي وغيرهم ممن تعرضوا للنقد والتجريح في كتابه «المثل السائر».

تتمثل الغاية الأساسية لديه في توضيح دور الناقد المتمكن في «تعليم البيان»، وهي المسألة التي تناولها ابن شهيد في رسائله، وقد تناولها ابن الأثير من خلال تطبيق عملي

على نماذج من نثره أولاً، ثم على نماذج من نثر الآخرين أو شعرهم. لا شك أن الجرأة والاعتداد بالنفس، اللذان قد يتجاوزان حد الغرور، كانا يخفيا ضعف تحصيله الثقافي وعدم تنوعه. فقد قرأ العديد من القصائد واطلع على الكثير من المؤلفات في النقد والبلاغة، ثم انغمس في محاولة إيجاد طريقه في الكتابة، ساعياً لتفوق على الآخرين. » (٢٩)

أما في الاتجاه الآخر، فقد طرح ابن الأثير رؤيته حول أهمية المعنى في تاريخ الأدب العربي بشكل شامل، حيث تصور أن العرب كانوا دوماً يهتمون بالمعاني. ورأى أن التركيز على الألفاظ يعد دليلاً على التقدير للمعنى، كونه يعكس الجهد المبذول لإبرازه بأفضل شكل ممكن.

اعلم أن العرب كما كانت تعتني بالألفاظ فتصلحها وتهذبها فإن المعاني أقوى عندها وأكرم عليها وأشرف قدرراً في نفوسها، فأول ذلك عنايتها بألفاظها، لأنها لما كانت عنوان معانيها وطريقها إلى إظهار أغراضها أصلحها وزينوها وبالغوا في تحسينها ليكون ذلك أوقع لها في النفس واذهب بها في الدلالة

بن الأثير) لمحمد زغلول سلام وقد تناول فيه عصر ابن الأثير من الناحية السياسية والاجتماعية والثقافية الى جانب الحديث عن ابن الاثير بوصفه مؤلفا .

ومن الكتب التي عنيت بأراء ابن الاثير من دون التعرض لتحليلها ونقدها كتاب (صناعة الكتابة عندضياء الدين بن الأثير) لعبد الواحد حسن الشيخ.

البديع عند ابن الاثير في المثل السائر :

البديع او المحسنات البديعية كانت موجودة في الشعر العربي في العصر الجاهلي وكان الشاعر العربي يأتي بها بعفوية من دون قصد الى استعمالها ، ولم تكن تلك المحسنات تحمل اسما او مصطلحا مما عرفه المحدثون (٣١)

وقد ذكر ابن المعتز في مقدمة كتابه البديع انه تناول البديع لم يكن هذا من ابتداع المحدثين وانما كان موجودا في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وكلام الاعراب واشعار القدماء ولكن كثر في اشعار المحدثين فقال: ”قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن

على القصد؟ فإذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظهم وحسنوها ورفقوا حواشيها وصقلوها أطرافها فلا تظن أن العناية إذ ذاك إنما هي بألفاظ فقط، بل هي خدمة منهم للمعاني ” (٣٠)

كانت وفاة ابن الاثير سنة ٥٦٣٧هـ في القرن السابع الهجري وقد وصفت هذه الحقبة بالجمود والضعف والتأخر وهي غير ذلك، والدليل هو ما تمتع به ابن الاثير من نبوغ في مجالي النقد والبلاغة والادب هو أحد علماء تلك الحقبة، برز في أشياء كثيرة غير ما له من مؤلفات كثيرة تتم عن علم واسع.

وقد تناولت مجموعة من الكتب كتاب ابن الاثير بالنقد والتحليل في عصرنا الحاضر ودرسته من من جوانب عديدة من أبرزها كتاب ”جولة مع ضياء الدين بن الأثير في كتابه المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر” لمؤلفه (أحمد محمد عنبر وقد كان مقتصرًا على طريقة تقسيم الكتاب ومضامينه وكانت هذه الدراسة قد ركزت على المنهج الظاهري للكتاب .

ومن الكتب التي الفت في هذا المجال ايضا كتاب (ضياء الدين

واللغة وأحاديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون البديع؛ ليعلم أن بشاراً ومسلماً وأبا نواس ومن تقيّلهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن؛ ولكنه كثير في أشعارهم فعرف في زمانهم حتى سُمي بهذا الاسم فأعرب عنه ودلّ عليه“ (٣٢)

«والبديع، حسبما يوضح الخطيب القزويني محمد بن عبد الرحمن في مؤلفه التلخيص، هو علم يُعنى بفهم أساليب تحسين اللغة بعد مراعاة التوافق والوضوح للدلالة” (٣٣)

. يصف ابن خلدون البلاغة بأنها التأمل في تحسين الكلام وزينته من خلال أساليب متنوعة من الفن. قد يتضمن ذلك استخدام السجع كطريقة للتنسيق، أو التجنيس الذي يبرز التشابه بين الكلمات، أو الترصيع الذي يغير من الأوزان، أو تقديم تورية تخفي المعنى الحقيقي من خلال إيهام معنى آخر، حيث يتشارك اللفظ بين المعنيين. كما يشمل أيضاً استخدام الطباق الذي يعتمد على التباين بين الأضداد

وأمثال ذلك.) (٣٤) أما في العصور المتأخرة فقد أفرط الشعراء في استعمال البديع حتى وصل الى درجة غير مقبولة أساءت اليه وأفسدت جماله . لقد بالغ الشعراء والأدباء في العصور الحديثة في استخدام المحسنات البديعية، سواء بدافع الإعجاب بها أو بسبب نقص في المعاني، مما أدى إلى تدهور إنتاجهم الأدبي. من وجهة نظري، هذا هو السبب وراء ابتعاد بعض الدارسين والنقاد المعاصرين عن دراسة هذا العلم. لو أدركوا أن المشكلة ليست في البديع نفسه، بل في الفهم الخاطئ واستخدامه، لكانوا قد قللوا من هذا الابتعاد وقدموا له ما يستحق من اهتمام ودراسة، ولأعادوا له اعتباره كعنصر بلاغي مهم في تقييم الأعمال الأدبية والحكم عليها (٣٥)

مما لاشك فيه ان البديع قد شاع وانتشر في العصور المتأخرة في الشعر والنثر ، وكان الى جانب هذه الحركة النشطة في المجال الادبي ، حركة نقدية تنظر في هذا الشعر والنثر الذي اكتسحه البديع ، وقد عددوا اقسامه وأنواعه حتى وصل الأمر الى عشرات الانواع ، ووصل الأمر

وشرح أقسامها وتفريعاتها، بل امتد بحثه ليشمل ما يتعلق بالكلام المنثور والكلام المنظوم، بالإضافة إلى ما ينطبق على كلا النوعين.

(٣٦)

ويشترط ابن الأثير ان يكون الكاتب معتدلاً في استعمال البديع، (ويفضل الاخذ بحذر وبقدر ما يزين الكلام ويشبهه بالحلي، قليل منه يزين وإذا كثر ثقل وناء به الجيد) (٣٧) وقد تناول انواع منها السجع الذي يختص النثر، ومنها ايضا التصريح ويختص الشعر.

وقد تتداخل الفنون البلاغية مع فنون أخرى، وقد يسمى الفن الواحد بتسميات مختلفة، يضمن السامع لأول وهلة أن هذه التسمية لفنين مختلفين.

وقد وقف ابن الأثير عند كثير من هذه الفنون البلاغية مبينا الفرق بينها منوها الى الخلط الذي وقع فيه العلماء من قبل، ومن هذه الفنون السجع.

السجع:

عند ابن الأثير هو من يتخصص بالمنثور، عرفه بأنه «تنسيق الفواصل في النصوص النثرية وفق حرف معين واحد» (٣٨)

الى ان يخلطوا بين أنواعه وذلك لوجود فروق دقيقة بين بعض هذه الانواع.

وكان ابن الأثير من النقاد الذين خاضوا في هذا الاتجاه، فقسموها الى المحسنات المعنوية واللفظية، وقد ذكر بعض من المحسنات البديعية المعنوية، والمحسنات هي: التجريد، والالتفات، والتفسير بعد الإبهام، والاستدراج، والاعتراض، والأحاجي أو الألغاز، والتناسب بين المعاني ويقسمه أقساماً ثلاثة: الطباق، وصحة التقسيم، وترتيب التفسير الذي أراد به ما يشمل اللف والنشر.

يتناول النص المحسنات البديعية اللفظية، وفي مقاله الثاني المتعلق بالصناعة المعنوية، يستعرض المحسنات البديعية المعنوية. يرى أن المحسنات البديعية اللفظية تمثل فن تأليف الألفاظ، ولهذا قدم في مقاله الأول ثمانية أنواع، خصص لكل منها فصلاً مستقلاً. تشمل هذه الأنواع: السجع، والتصريح، والتجنيس، والتصريح، ولزوم ما لا يلزم، والموازنة، واختلاف صيغ الألفاظ، وتكرير الحروف. ولم يقتصر في دراسته لهذه الأنواع على تعريفها

ويرى ابن الاثير ان السجع حلية غير مكروهة ويستحب فيه الاعتدال ، بأن تأتي فيه الالفاظ تابعة للمعاني وليس العكس . (٣٩)

وقد ذم ابن الاثير بعض الكتاب الذين يعيرون السجع ، وقد رأى ان سبب ذمهم انهم لا يستطيعون ان يكون في كلامهم سجع لانهم عجزوا عن ذلك ، ولو كان مذموماً ما ورد في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، فقال : «وقد ذمّه بعض أصحابنا من أرباب هذه الصناعة، ولا أرى لذلك وجهًا سوى عجزهم أن يأتوا به، وإلا فلو كان مذموماً لما ورد في القرآن الكريم، فإنه قد أتى منه بالكثير، حتى إنه ليؤتى بالسورة جميعها مسجوعة، كسورة الرحمن، وسورة القمر، وغيرهما» (٤٠)

وقد أطال ابن الاثير القول في السجع وعده سمة من سمات الرسائل ، وقد كانت اسجاع القرآن التي اطلق عليها فواصل اعلى درجات الكلام .

وقد وردت العديد من الاحاديث النبوية الشريفة التي استعملت هذا الاسلوب في التعبير .

وقد ذكر ذلك في كلامه عن السجع؛ عندما عدد شروطاً للسجع الجيد

، كان من أهمها: أن تكون الكلمتان المسجوعتان ذوائياً معنيين مختلفين، وقد وقع في ذلك كبار الكتاب، منهم الصابي في قوله: «الحمدُ الله الذي لا تدرُكُه الأبصارُ بألحاظها، ولا تحدُّه الألسنُ بألفاظها، ولا تُخلِّفه العصورُ بمرورها، ولا تهرمه الدهورُ بكرورها» (٤١)

ثم ذكر ابن الأثير قطعة ادبية من بأكمله من إنشائه وآخرى من إنشاء الصابي. لكن حكم ابن الأثير هو المقرر إن حكم (ابن الأثير) وبذلك يكون ابن الاثير يمكن ان يظهر كخصم وحكم في الوقت نفسه، وهذا يمكن ان يؤدي الى الانحراف عن الحق اذ يمكن ان يظهر انحرافا وانحرافا غير موضوعي .

وقد اورد نصوصا من نثره مثالا للسجع الذي التزم فيه للمعنى الواحد للفظ الواحد ، ويقول انه لم يعتمد الى لفظتين تحملان المعنى نفسه لان هذا من وجهة نظره من التطويل ، وقد ذكر بعدها نصوصا للصاحب بن عباد كرر فيها الفاظ تحمل المعنى نفسه ، وهو ما يرفضه ابن الاثير في اسلوب الكلام ،ومن ذلك ما ذكره من سجع

للصاحب بن عباد ذكره في وصف مهزومين، فقال: «طاروا واقين بظهورهم صدورهم، وبأصلا بهم نحورهم وكلا المعنيين سواء» (٤٢)

كان منحازاً في آرائه للمعنى على حساب اللفظ، لذلك نراه عندما يتحدث عن السجع يطبق هذه الرؤية فيجد ان الالفاظ يجب ان تكون تابعة للمعاني الى جانب شروط اخرى يتصف بها اللفظ (ينبغي أن تكون الألفاظ المسجوعة حلوة طئانة رئانة، لا غثة ولا باردة، وأعني بقولي: «غثة باردة» أن صاحبها يصرّف نظره إلى السجع نفسه من غير نظر إلى مفردات الألفاظ المسجوعة، وما يشترط لها من الحسن، ولا إلى تركيبها وما يشترط له من الحسن، وهو الذي يأتي به من الألفاظ المسجوعة كمن ينقش أثواباً من الكرسف أو ينظم عقداً من الخزف الملون.

وهذا مقام تزلّ عنه الأقدام، ولا يستطيعه إلا الواحد من أرباب هذا الفن بعد الواحد، ومن أجل ذلك كان أربابه قليلاً. فإذا صُفّي الكلام المسجوع من الغثاة والبرّد، فإن وراء ذلك مطلوباً

آخر، «هو أن يكون اللفظ فيه تابعاً للمعنى، لا أن يكون المعنى فيه تابعاً للفظ، فإنه يجيء عند ذلك كظاهر ممّوه، على باطن مشوّه، ويكون مثله كغمّدٍ من ذهب على نصلٍ من خشب» (٤٣)

ويشترط ابن الأثير كذلك بأن تكون السجعتان كل واحدة منهما تدل على معنى غير المعنى الذي اشتملت عليه الثانية فيقول:

«والذي أقوله في ذلك هو أن تكون كل واحدة من السجعتين المزدوجتين مشتملةً على معنى غير المعنى الذي اشتملت عليه أختها، فإن كان المعنى فيهما سواء فذاك التطويل بعينه؛ لأن «التطويل» إنما هو الدلالة على المعنى بالألفاظ يمكن الدلالة عليه بدونها، وإذا وردت سجعتان يدلّان على معنى واحد كانت إحداهما كافيةً في الدلالة عليه، وجُلّ كلام الناس المسجوع جارٍ عليه» (٤٤)

وينكر على بعض الكتاب ان يأتوا بالألفاظ المسجوعة الدالة على معنى واحد ومنهم الحريري في مقاماته وابن نباتة في خطبة فيقول «لقد تصفّحت المقامات الحريريّة

النثر من حيث الوزن ، أما في الشعر فيكون صدر البيت مساويا لعجزه من حيث الوزن وبذلك تضي الموازنة لونا من الجمال في الإيقاع» (٤٩)

«فالفرق بين الموازنة والسجع يكمن في أن الموازنة تركز على أوزان الكلمات ضمن التركيب، حيث تسعى لتحقيق توازن في الوزن ليتم إنتاج إيقاع متناغم، دون الانتباه إلى الحرف الأخير من الكلمات. وبالتالي، هناك تشابه دقيق بين الموازنة والسجع، إذ يمكن اعتبارهما كيانين متقاربين. يُشير إلى ذلك بقوله:

«هذا النوع من الكلام يتشابه مع السجع من حيث المعادلة لكن دون التطابق؛ لأن السجع يتضمن توازناً زائداً عن الحد، مما يؤدي إلى تطابق أجزاء الفواصل التي تنتهي بحرف واحد. بينما في الموازنة، يوجد اعتدال مشابه للسجع، ولكن لا يحدث تطابق في الفواصل. لذا، يمكن القول إن كل سجع هو موازنة، لكن ليس كل موازنة يمكن اعتبارها سجعاً» (٥٠) وفي نظر ابن الأثير أن الكلام إذا سجعاً وعلى هذا فالسجع أخص من الموازنة وسببها هو الاعتدال الذي تستحسنه جاء

والخطب النباتية، على غرام الناس بهما، وإكبابهم عليهما، فوجدت الأكثر من السجع فيهما على الأسلوب الذي أنكرته». (٤٥)

ويجد نفسه حريصاً على تطبيق ذلك الأسلوب في كتاباته ورسائله، في قوله :

«وأُتيت بكلامي مسجوعاً توخيت أن تكون كل سجة منه مختصة بمعنى غير المعنى الذي تضمنته أختها، ولم أخل بذلك في مكاتباتي كلها، وإذا تأملت ما علمت صحة ما قد ذكرته» (٤٦)

والموازنة:

«تمثل الموازنة شكلاً آخر من السجع تسهم بفاعلية في إضفاء الإيقاع على أدبية الخطاب» (٤٧)

وهي الموازنة التي تناولها أبو هلال العسكري في فصل السجع، حيث لم يستخدم هذا المصطلح، واعتبر أنه يجب أن تكون «أن تكون الفواصل على زنة واحدة وإن لم يمكن أن تكون أما ابن الأثير فيحددها بنفس المفهوم مضيفاً على حرف واحد فيقع التعادل والتوازن» (٤٨)

وتكون الموازنة في الشعر والنثر وتأتي فيها الفاظ الفواصل متساوية في

على هذا النحو، يكون «له جاذبية وسحر للنفس، ويميل إليه، وإذا كانت فقرات الكلام متوازنة، فإنها تترك أثراً إيجابياً على النفس(٥١)» هذه الإشارات إلى الجمالية والتوازن والانسجام تعكس أيضاً مفاهيم الإيقاع.

الخاصية بشواهد من الخطاب القرآني وبيتا واحدا من الشعر من هنا فان السجع إن الموازنة تُعتبر أحد أنواع الإيقاع، لكنها تفتقر إلى عنصر أساسي وهو اتحاد الحرف. ويستشهد ابن الأثير لجمال إيقاع الموازنة بالنص القرآني خالصا الى أن «معظم النص يتبع هذا الأسلوب باستمرار، حيث لا تخلو سورة من السور من هذه المميزات. وقد قمت بمراجعته ووجدته يتميز بشكل كبير بالسجع والتناظر»(٥٢) قال تعالى: (وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تُوْزِعُهُمْ أَزْوَاجًا فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا)«(٥٣)

إن كلمتي «وزرا» و«حملا» تتشاركان في وزن واحد، مما أضفى على الآية الكريمة إيقاعاً جميلاً، وهذا الأسلوب

شائع في الخطاب القرآني. ويعرفها بقوله هي: «أن تكون ألفاظ الفواصل من الكلام المنثور متساوية في الوزن وأن يكون صدر البيت الشعري وعجزه متساويي الألفاظ وزنا. والإيقاع الناجم عن هذه البنية البلاغية صادر عن تساوي أوزان الكلمات، وليس صادرا عن تساوي الكلمات (الفواصل) (على حرف واحد كما هو في السجع»(٥٤)

لذا قال ابن الأثير أن «هذا النوع من الكلام هو أخو السجع في المعادلة دون المماثلة، لأن في السجع اعتدالا وزيادة على الاعتدال، وهي تماثل أجزاء الفواصل لورودها على حرف واحد. وأما الموازنة ففيها الاعتدال الموجود في السجع، ولا تماثل في فواصلها، فيقال إذا: كل سجع موازنة، وليس كل موازنة سجعا □»(٥٥) كان السجع يساوي الاعتدال مع التماثل، فالموازنة هي سجع ينقصه المماثلة في الحرف الأخير، فهي تساوي الفاصلتين في الوزن دون تشابه الحرف الواحد.

من الفنون البديعية اللفظية

الترصيع:

والترصيع في الشعر كالسجع في النثر ولا يحسن فيه التكلف إنما يحسن

موضحًا في البداية مدى تعقيدها، حيث يعتبرها «من أصعب ما في هذه الصناعة».

مذهبًا، وأبعدها مسلکًا، وذلك لأنَّ مؤلفه يلتزم ما لا يلزمه، فإنَّ اللازم في هذا الموضوع وما جرى مجراه، إنما هو السجع الذي هو تساوي أجزاء الفواصل من الكلام المنثور في قوافيها، وهذا فيه زيادة على ذلك، وهو أن تكون الحروف التي قبل الفاصلة حرفًا واحدًا. (٥٧)

وبعد ذلك يميز بينها وبين السجع، موضحًا أن السجع يتمثل في تساوي أجزاء الفواصل في الكلام المنثور، بينما يتضمن هذا الأمر إضافة أخرى، وهي أن تكون الحروف التي تسبق الفاصلة حرفًا واحدًا. أما في الشعر، فيتطلب أن تتساوى الحروف التي تسبق روي الأبيات الشعرية. (٥٨)

وهذه الظاهرة الصوتية برغم مالها من أثر جمالي ولكنها أيضا لها أثر سلبي وقد ذكر ابن الأثير وأشار إليه وهو يظهر في تقديمها بشكل متكلف، لأن «التكلف يفتقر إلى جمالية الفن، ولا ينبغي لمؤلف الكلام أن يستخدم هذا الأسلوب إلا إذا كان ضروريًا».

فيه الكلام ماقل في الكلام، وهو مأخوذ من ترصيع العقد، وذلك أن يكون في أحد جانبي العقد من اللآلئ مثل ما في الجانب الآخر، وكذلك نجعل هذا في الألفاظ المنثورة من الأسجاع، وهو أن تكون لفظة من ألفاظ الفصل الأول مساويةً لكل لفظة من ألفاظ الفصل الثاني في الوزن والقافية، وهذا لا يوجد في كتاب الله تعالى، لما هو عليه من زيادة التكلف.

في لزوم ما لا يلزم:

هي ظاهرة إيقاعية أكثر تتميز بتعقيدها في الشعر، وقف عندها ابن سنان الخفاجي في كتابه سر الفصاحة فقال: «لا يُعتبر الشاعر مُعَدَّرًا إذا اختار أن يكتب بهذا الأسلوب، لأنه التزم بنفسه بما لا يُلزم به عيوب القوافي، إذ إنه قام بذلك عن إرادة واختيار دون أي ضغط أو إكراه. نحن نرغب في التعبير الجيد بأبسط الطرق وأقرب الوسائل، وليس لدينا حاجة إلى الأسلوب المتكلف، حتى وإن ادعى كاتبه أنه واجه صعوبات وتعبًا في إنشائه» (٥٦)

وابن الأثير يشير إلى هذه المسألة

التي تتشابه في حروفها أم لا. بعض العلماء يطلقون على هذا الفن من البديع اللفظي اسم التجنيس، بينما يسميه آخرون مجانساً أو جناساً، رغم اختلاف الأسماء إلا أن المفهوم واحد. يعود سبب هذه التسمية إلى أن حروف الكلمات المستخدمة تتكون من جنس واحد. أما بالنسبة لتعريف الجناس عند ابن الأثير، فإنه يشير إلى كون اللفظ واحداً والمعنى مختلفاً، مما يعني أنه هو اللفظ المشترك، وما سواه لا يعتبر تجنيساً حقيقياً (٦١)

الخاتمة :

— لقد كان ابن الأثير تابعاً للنقاد السابقين في معاييرهم وإن كانت له نظرة خاصة خالفهم فيها كان مردها إلى ذوق خاص تفرد به ، وقد كانت هذه النظرة محدودة لا ترقى إلى نظرية خاصة بابن الأثير .
— ومن الإجراءات التي اعتمدها ابن الأثير احتفاؤه بكثرة التقسيم والتفريع، وهو النهج الغالب على الكتاب، لغلبة الطابع التعليمي عليه
— كانت عناية ابن الأثير في كتابه المثل السائر منصبا على الخطاب

متكلفاً . ومثاله في هذا المقام كمن أخذ موضوعاً رديئاً فأجاد فيه صنعته ، فإنه يكون عند ذلك قد راعى الفرع ، وأهمل الأصل ، فأضاع وانطلاقاً من هذا المعيار الإيقاعي نراه يقوم جودة الصنعة في رداءة الموضوع“ (٥٩)
وقد ذكر ابن الأثير في هذا الموضوع أمثلة من المنظوم والمنثور معلقاً على الحيد والرديء في هذه الأمثلة التي تضمنت هذا الفن.
فالجناس :

من أساليب البديع اللفظي. وكان عبد الله بن المعتز من أوائل من أدرك أهميته، حيث اعتبره في كتابه ثاني الأبواب الخمسة الكبرى للبديع. وقد عرفه وقدم أمثلة متنوعة على نوعيه الجيد والرديء منه.
ويعرفه بقوله: «التجنيس هو أن تأتي كلمة ما لتتشابه مع أخرى في بيت من الشعر أو في الكلام، وتكون مجانستها لها من خلال تشابه تركيب حروفها“ (٦٠)
فإن مفهوم الجناس لدى ابن المعتز يقتصر كما يتضح على تشابه الكلمات من حيث تركيب حروفها، دون توضيح ما إذا كان هذا التشابه يشمل معاني الكلمات

وقد كانت له وقفات متأنية عند كل فن من هذه الفنون مفصلا في تعريفه وبيان الفروقات بين هذه الفنون اللفظية المختلفة معززا كلامه بالشواهد المختلفة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ونصوص من الشعر والنثر .

— القى ابن الاثير الضوء على الجوانب الجمالية التي تضيفها هذه الفنون البديعية المختلفة على النصوص ، منوها بأن الاكثار منها يضي لونا من الوان التكلف .

النثري أكثر من الخطاب الشعري ، والسبب في ميله للنثر كونه كاتباً أكثر من كونه شاعراً .

— لقد عدّ ابن الأثير الأدب بقسميه المتنور والمنظوم ، صناعة لها معايير وقواعد خاصة .

— عاش ابن الاثير في عصر متأخر ، وكان قد قطع التأليف في النقد والبلاغة شوطاً كبيراً ، وظهر العلماء الكبار الذين فصلوا وقننوا ونظروا لهذين العلمين ، وكان لابن الاثير ان يتأثر بسابقه من النقاد والبلاغيين .

— وقد بقي نشاط ابن الاثير النقدي في دائرة التراث النقدي ، وإن سمات التفرد أو تحقيق الإضافة لم تكن إلا في نطاق الذوق الفردي الذي لا يرقى إلى إنتاج مفاهيم ترقى الى النظرية .

— يعد ابن الأثير من الظواهر المتميزة في عصر غلب عليه الضعف العلمي في عصر الايوبيين وقد حقق نقلة نوعية في المسار النقدي الأدبي آنذاك، بفضل أسهم في ما عرف بـ«نقد النقد» الذي مثله كل من «الفلك الدائر» لابن أبي الحديد، و«نصرة الثائر» للصفدي .

— تناول ابن الاثير المحسنات اللفظية

الهوامش:

- ١٧- تاريخ النقد العربي عند العرب :٦٠٤.
- ١٨- المثل السائر : ٢٢٦/٣-٢٢٧
- ١٩- ينظر تاريخ النقد العربي عند العرب :٦٠٤.
- ٢٠-..الصفات : ٥٠
- ٢١- ينظر أدبية الخطاب في المثل السائر: ٤٢٤
- ٢٢- الاكسير في علم التفسير :٩٣
- ٢٣- ينظر الاكسير في علم التفسير :٩٣
- ٢٤- المثل السائر :١٤٣/٣
- ٢٥- الاكسير في علم التفسير:٢٨٤
- ٢٦- الموجز في تاريخ الادب العربي وتاريخه : ٢٤٣/٢
- ٢٧- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : ١٥٨٦ / ٢
- ٢٨- علم الشعر العربي في العصر الذهبي :١٩٢
- ٢٩- تاريخ النقد العرب احسان عباس :٦٠٠
- ٣٠- تاريخ النقد العرب احسان عباس :٦٠٢
- ٣١- ينظر علم البديع (محمود المرآغي :٥٦:
- ٣٢- ينظر علم البديع (محمود المرآغي :٥٦:
- ٣٣- التلخيص في علوم البلاغة :٣٤٧.
- ٣٤- مقدمة ابن خلدون : ٧٦١
- ٣٥- علم البديع : ٨
- ٣٦- تاريخ البلاغة العربية (عتيق) : ٢٩٢.
- ٣٧- الادب في العصر الايوبي : ٢٤١،
- ٣٨- المثل السائر : ١ / ٢١٠
- ٣٩- ينظر المثل السائر : ١ / ٢١٠
- ١- هو أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم م حمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ، المعروف بابن الأثير الجزري ، الملقب بضياء الدين ، أبوه هو أثير الدين الجزري. ينظر وفيات الأعيان ابن خلكان: ٢٥/٥
- ٢- وفيات الأعيان ابن خلكان: ٢٥/٥
- ٣- ينظر المصدر نفسه :٢٦/٥.
- ٤- ينظر: الوافي بالوفيات، : ٤٢-٤٢/٤١ .
- ٥- وفيات الأعيان : ٥ / ٢٥ .
- ٦- مقدمة المحققين : ١ / ١٦.
- ٧- مقدمة المحققين : ١ / ١٦.
- ٨- ينظر وفيات الاعيان : ٥/ ٢ قال ابن خلكان :ولضياء الدين من التصانيف الدالة على غزارة فضله وتحقيق نبهه، كتابه الذي سماه " المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر "، وهو في مجلدين، جمع فيه فأوعب، ولم يترك شيئاً يتعلق بفن الكتابة إلا ذكره.
- ٩- تاريخ النقد العربي من القرن الخامس الى القرن العاشر الهجري : ٢٦٥.
- ١٠- مقدمة المثل السائر : ١ / ٣
- ١١- ابن الأثير في مسار نقد النثر العربي القديم: ٧٧
- ١٢- ينظر تاريخ البلاغة العربية : ٢٩٥.
- ١٣- الادب في العصر الايوبي :٢٤٣.
- ١٤- دراسات في البلاغة عند ضياء الدين بن الاثير : ٦.
- ١٥- مقدمة المحققين : ٢٠.
- ١٦- المثل السائر : ٣٤٨/٤ .

المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم .
- آفاق نقدية ورؤى بلاغية في كتاب نصره
الثائر على المثل السائر لصالح الدين
الصفدي ، د براءة محمود السقرات ، زاد
ناشرون وموزعون - عمان ، ٢٠٢٤ م .
- الأدب في العصر الايوبي ، د .محمد زغلول
سلام ، دار المعارف - الاسكندرية ط ٣ ،
١٩٩٠م .
- الأسس الجمالية في النقد العربي ، عز
الدين إسماعيل، دار الفكر العربي ، القاهرة
٢٠٠٠م .
- الإكسير في علم التفسير ، الطوفي سليمان
بن عبد العزيز الصرصي ، تحقيق د عبد
القادر حسن ، دار الاوزاعي ، بيروت -
لبنان ، ١٩٨٩م .
- البديع ، د عبد العزيز عتيق ، دار النهضة
- مصر ، دت .
- البديع في البديع ، عبد الله بن المعتز ،
دار الجيل ، ط ١ ، ١٩٩٠م .
- تاريخ النقد الادبي عند العرب من
القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري
- د. إحسان عباس ، دار الشروق للنشر
والتوزيع ، عمان - الاردن ، ط ٤ ، ٢٠٠٦م .
- تاريخ النقد العربي من القرن الخامس
الى العاشر الهجري ، د محمد زغلول سلام
دار المعارف - مصر ، د - ت .
- تطور مفهوم البلاغة في صناعة الكتابة
الفنية ، د. عبد الرزاق زيد أبو زايد ،
مكتبة الشباب ، مصر - القاهرة ، ط ١ ،
١٩٩٢م .

- ٤٠- المثل السائر : ١ / ٢١٠
- ٤١- المثل السائر : ١ / ٢١٨
- ٤٢- مثل السائر: ١ / ٢١٩ .
- ٤٣- المثل السائر : ١ / ٢١٣
- ٤٤- المثل السائر : ١ / ٢١٤ .
- ٤٥- المثل السائر : ١ / ٢١٥ .
- ٤٦- المثل السائر : ١ / ٢١٥ .
- ٤٧- ادبة الخطاب : ٣٥٧ .
- ٤٨- كتاب الصاعتين ، ٢٨٩
- ٤٩- ينظر المثل السائر : ١ / ٢٩١ .
- ٥٠- المثل السائر : ١ / ٢٩١ .
- ٥١- المثل السائر : ١ / ٢٩١ .
- ٥٢- المثل السائر : ١ / ٢٩٣ .
- ٥٣- مريم : ٨١- ٨٤ .
- ٥٤- المثل السائر : ١ /
- ٥٥- المثل السائر : ١ / ٢٩٢ .
- ٥٦- سر الفصاحة : ١٧٢ .
- ٥٧- المثل السائر : ١ / ٢٨١ .
- ٥٨- المثل السائر : ١ / ٢٨١ .
- ٥٩- المثل السائر : ١ / ٢٨٣ .
- ٦٠- البديع في البديع : ١٠٨ .
- ٦١- ينظر علم البديع : ١٩٦ .

مصر للطبع والنشر ، ط٢ ، د - ت
- الموجز في الادب العربي وتاريخه ، حنا
الفاخوري ، دار الجيل - بيروت ، ط٢ ،
١٩٩١ م.

- نصره الثائر على المثل السائر ، صلاح
الدين خليل بن ابيك الصفيدي ، مجمع
اللغة العربية - سوريا ، ط١ ، د - ت.

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ابن
خلكان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ،
بيروت ، ط١ ، ١٩٩٤ م.

- الوافي بالوفيات ، صلاح الدين خليل بن
أبيك الصفيدي ، تحقيق : أحمد الأرناؤوط ،
وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث العربي ،
ط٧ ، ٢٠٠٠ م.

- وفيات الأعيان ، ابن خلكان ، تحقيق :
محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة
النهضة المصرية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٤٨ م.

الدوريات :

— في المنهج النقدي عند ابن الأثير في كتابه
(المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، د.
وفيق محمود سليمان وريان عبد المجيد
جلول ، مجلة دراسات في اللغة العربية
وآدابها ، نصف سنوية محكمة ، العدد
الواحد والعشرون ، ٢٠١٥ م .

الرسائل:

— أدبية الخطاب في المثل السائر ، مولود
بغورة ، رسالة دكتوراه من جامعة الجزائر
كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ، ٢٠٠٦ م .
— الخطاب النثري في كتاب المثل السائر ،
بن مساهل باية ، رسالة ماجستير من
جامعة بوزياف بالمسيلة ، قسم اللغة

- دراسات في البلاغة عند ضياء الدين
بن الأثير ، د عبد الواحد حسن الشيخ
، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر ،
الاسكندرية - مصر ، ١٩٨٦ م.

- جولة مع ضياء الدين بن الأثير في
أدب الكاتب والشاعر ، أحمد محمد عنبر
، نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة -
مصر ، ١٩٥٤ م .

- سر الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي ، دار
الكتب العلمية ، ط١ ، ١٩٨٢ م.

- ضياء الدين ابن الأثير وجهوده في النقد ،
محمد زغلول سلام ، مكتبة نهضة ، مصر ،
القاهرة ، ط١ ، دت

- علم البديع ، محمود حسن المرآغي ، دار
العلوم العربية - بيروت ، ط١ ، ١٩٩١ م.

- علم الشعر العربي في العصر الذهبي ،
تأليف ، فيننتي كاتارينو ، ترجمة : محمد
مهدي الشريف ، دار الكتب العلمية ،
بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٤ م.

- كتاب الصناعتين ، أبو هلال العسكري ،
تحقيق : مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية
، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٨١ م

- كشف الظنون عن أسامي الكتب
والفنون : مصطفى بن عبد الله الشهير
بكاتب حلب ، المعروف بحاجي خليفة
، تحقيق محمد شرف الدين ، ورفعت
بيلكه الكليسي ، طبع بعناية وكالة المعارف
الجليلة ، ١٩٤٣ .

- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ،
ضياء الدين بن الأثير ، قدمه وعلق عليه
د. أحمد الحوفي ود بدوي طبانة ، دار نهضة

- The Development of the Concept of Rhetoric in the Artistic Writing Industry, Dr. Abdul Razzaq Zaid Abu Zaid, Al-Shabab Library, Cairo, Egypt, 1st ed., 1992.
- Studies in Rhetoric in the Works of Diao al-Din Ibn al-Athir, Dr. Abdul Wahid Hassan al-Sheikh, Shabab Al-Jami'a Foundation for Printing and Publishing, Alexandria, Egypt, 1986.
- A Tour with Diao al-Din Ibn al-Athir in the Literature of the Writer and Poet, Ahmed Muhammad Anbar, Nahdet Misr for Printing and Publishing, Cairo, Egypt, 1954.
- The Secret of Eloquence, Ibn Sinan al-Khafaji, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, 1st ed., 1982.
- Diao al-Din Ibn al-Athir and His Efforts in Criticism, Muhammad Zaghoul Salam, Nahdet Maktabat, Egypt, Cairo, 1st ed., no date.
- The Science of Rhetoric, Mahmoud Hasan al-Maraghi, Dar al-Ulum al-Arabiyya, Beirut, 1st ed., 1991.
- The Science of Arabic Poetry in the Golden Age, by Vincente Cantarino, translated by Muhammad Mahdi al-Sharif, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, 1st ed., 2004.
- The Book of the Two Crafts, by Abu Hilal al-Askari, edited by Mufid Qamiha, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon, 1st ed., 1981.
- Kashf al-Zunun 'an Asmi' al-

العربية ، الجزائر ، ٢٠٠٩م.

Sources and References:

- The Holy Quran.
- Critical Horizons and Rhetorical Visions in the Book "Nasrat al-Tha'ir 'ala al-Mathal al-Sa'ir" by Salah al-Din al-Safadi, by Bara'a Mahmoud al-Saqrat, Zad Publishers and Distributors, Amman, 2024.
- Literature in the Ayyubid Era, by Dr. Muhammad Zaghoul Salam, Dar al-Ma'arif, Alexandria, 3rd ed., 1990.
- The Aesthetic Foundations of Arabic Criticism, by Izz al-Din Ismail, Dar al-Fikr al-Arabi, Cairo, 2000.
- The Elixir in the Science of Interpretation, by al-Tawfi Sulayman ibn Abd al-Aziz al-Sarsari, edited by Dr. Abd al-Qadir Hassan, Dar al-Awza'i, Beirut, Lebanon, 1989.
- Al-Badi', by Dr. Abd al-Aziz Atiq, Dar al-Nahda, Egypt, ed.
- Al-Badi' fi al-Badi', by Abdullah ibn al-Mu'tazz, Dar al-Jeel, 1st ed., 1990.
- The History of Literary Criticism Among the Arabs from the Second Century to the Eighth Century AH, by Dr. Ihsan Abbas, Dar Al-Shorouk for Publishing and Distribution, Amman, Jordan, 4th ed., 2006.
- History of Arabic Criticism from the Fifth to the Tenth Century AH, Dr. Muhammad Zaghoul Salam, Dar Al-Maaref, Egypt, n.d.

bin Aybak Al-Safadi, Arabic Language Academy, Syria, 1st ed., n.d.

- Deaths of Notable People and News of the Sons of the Time, Ibn Khallikan, edited by Ihsan Abbas, Dar Sadir, Beirut, 1st ed., 1994.

- Al-Wafi bil-Wafiyat, Salah Al-Din Khalil bin Aybak Al-Safadi, edited by Ahmed Al-Arnaout and Turki Mustafa, Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi, 7th ed., 2000.

- Deaths of Notable People, Ibn Khallikan, edited by Muhammad Muhyi Al-Din Abdul Hamid, Nahdet Misr Library, Cairo, 1st ed., 1948.

Kutub wa al-Funun, by Mustafa ibn `Abdullah, known as Katib Halabi, known as Haji Khalifa, edited by Muhammad Sharaf al-Din and Rifat Bilka al-Kilisi, carefully printed by the Ma`arif al-Jalila Agency, 1943.

- The Proverb on the Literature of the Writer and Poet, by Diaa al-Din Ibn al-Athir, introduced and commented on by Dr. Ahmed Al-Hawfi and Badawi Tabana, Dar Nahdet Misr for Printing and Publishing, 2nd ed., n.d.

- A Brief History of Arabic Literature, Hanna Al-Fakhouri, Dar Al-Jeel, Beirut, 2nd ed., 1991.

- Supporting the Rebel Against the Common Proverb, Salah Al-Din Khalil